نُورُ الإيمان

وظلماتُ النِّفَاق

في ضوءِ الكتابِ والسُّنَّة

تأليف
الفقير إلى الله تعالى
د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني

مكتبة السنة

الطبعة الأولى لمكتبة السنة بالقاهرة
١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

رقم الإيداع : ٤٨٩٩ / ٢٠٠١
طبع بدار نوبار للطباعة



مكتبة السنة
الدار السلفية لنشر العلم

القاهرة : ٨١ شارع البستان - ميدان عابدين ،ناصية شارع الجمهورية،
تليفون : ٣٩٠٠٣١٨ - ٣٩١٣٥٣٢ فاكس : ٣٩١٣٥٣٢ - تلكس: ٢١٧١٩ TLTHRB UN
ص . ب : ١٢٨٩ - الرمز البريدى : ١١٥١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد للَّه، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فهذه رسالة مختصرة في «**نور الإيمان وظلمات النفاق**» بينت فيها: مفهوم الإيمان، وطرق تحصيله، وثمراته وفوائده، وشعبه، وصفات المؤمنين، ومفهوم النفاق، وأنواعه، وأضراره، وصفات المنافقين.

ولا شك أن اللَّه عز وجل نصير المؤمنين، ويتولاهم بعونه وتوفيقه، ويخرجهم من ظلمات الكفر، والنفاق، والضلال، والجهل، إلى نور العلم، والإيمان، والهداية، قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. وبين اللَّه عز وجل أن الذين كفروا نصراؤهم الذين يتولونهم «الطاغوت» وهم الأنداد والأوثان الذين يعبدونهم من

دون الله، وكل من عُبِدَ من دون الله وهو راضٍ، وهذه الطواغيت تخرج من عبدها من نور الإيمان إلى ظلمات الجهل، والكفر، والنفاق، والغفلة، قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقد قسمت هذا البحث إلى مبحثين، وتحت كل مبحث مطالب على النحو الآتي:

المبحث الأول: نور الإيمان:

المطلب الأول: مفهوم الإيمان.

المطلب الثاني: طرق تحصيل الإيمان وزيادته.

المطلب الثالث: ثمرات الإيمان وفوائده.

المطلب الرابع: شعب الإيمان.

المطلب الخامس: صفات المؤمنين.

المبحث الثاني: ظلمات النفاق:

المطلب الأول: مفهوم النفاق.

المطلب الثاني: أنواع النفاق.

المطلب الثالث: صفات المنافقين.

المطلب الرابع: أضرار النفاق وآثاره.

والله الكريم أسأل أن يجعل هذا العمل القليل مباركًا خالصًا

لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في حياتي وبعد مماتي، وينفع به كل من انتهى إليه، فإنه تعالى خير مسؤول، وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وأسأله عز وجل أن يصلي ويسلم ويبارك على النبي الأمين، خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المؤلف

حرر في عصر يوم الثلاثاء الموافق ١٦/١٠/١٤١٩هـ

المبحث الأول: نور الإيمان

المطلب الأول: مفهوم الإيمان:

أولاً: مفهوم الإيمان: لغة واصطلاحًا:

الإيمان لغة: التصديق، قال إخوة يوسف لأبيهم ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] أي: بمصدق لنا.

وحقيقة الإيمان: أنه مركب من قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب، واللسان، والجوارح. فهذه أربعة أمور جامعة لأمور دين الإسلام:

الأول: قول القلب: وهو تصديقه، وإيقانه، واعتقاده.

الثاني: قول اللسان: وهو النطق بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والإقرار بلوازمها.

الثالث: عمل القلب: وهو النية، والإخلاص، والمحبة، والانقياد، والإقبال على الله عز وجل، والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه.

الرابع: عمل اللسان والجوارح: فعمل اللسان ما لا يؤدى إلا به: كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار، والدعاء، والاستغفار، وغير ذلك. وعمل الجوارح ما لا يؤدى إلا بها، مثل: القيام، والركوع، والسجود، والمشي في مرضاة الله، كنقل الخطا إلى المساجد، وإلى الحج، والجهاد في سبيل الله عز وجل، والأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك مما يشمله حديث شعب الإيمان[١].

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه اللَّه: «الإيمان: التصديق الجازم، والاعتراف التام بجميع ما أمر اللَّه ورسوله بالإيمان به، والانقياد ظاهرًا وباطنًا، فهو تصديق القلب واعتقاده المتضمن لأعمال القلوب، وأعمال البدن، وذلك شامل للقيام بالدين كله؛ ولهذا كان الأئمة والسلف يقولون: الإيمان: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وهو: قول، وعمل، واعتقاد، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، فهو يشمل عقائد الإيمان، وأخلاقه، وأعماله»[٢].

ثانيًا: الفرق بين الإيمان والإسلام:

في الشرع: أن الإيمان على حالتين: الحالة الأولى: أن يطلق الإيمان على الإفراد غير مقترن بذكر الإسلام، فحينئذ يراد به

(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (ص٣٧٣)، و«معارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد» للشيخ حافظ الحكمي (٢/٥٨٧ - ٥٩١)، و«أصول وضوابط في التكفير» للعلامة عبد اللطيف ابن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ص٣٤)، وانظر: «كتاب الإيمان» لابن منده (١/ ٣٠٠، ٣٤١).

(٢) «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» (ص٩)، وانظر: «كتاب الإيمان» لابن منده (١/ ٣٤١)، و«فتاوى ابن تيمية» (٧/ ٥٠٥).

الدين كله، كقوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] وهذا المعنى هو الذي قصده السلف بقولهم رحمهم الله: «إن الإيمان اعتقاد، وقول، وعمل، وإن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان».

والحالة الثانية: أن يطلق الإيمان مقرونًا بالإسلام، وحينئذٍ يفسر الإيمان بالاعتقادات الباطنة، كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، كقوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النساء: ٥٧] ويفسر الإسلام بأعمال الجوارح الظاهرة كالنطق بالشهادتين والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وغير ذلك من الأعمال[١]، كقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] الآية، فالإيمان والإسلام إذا افترقا اجتمعا، وإن اجتمعا افترقا، وذلك كالفقير والمسكين، إذا أفرد أحدهما تناول الآخر، وإذا جمع بينهما كان لكل واحد مسمى يخصه[٢].

المطلب الثاني: طرق تحصيل الإيمان وزيادته:

الإيمان كمال العبد، وبه ترتفع درجاته في الدنيا والآخرة،

(١) انظر: «فتاوى ابن تيمية» (٧/ ١٣ - ١٥، ٥٥١ - ٥٥٥)، و«معارج القبول» للشيخ حافظ الحكمي (٢/ ٥٩٧ - ٦٠٨).

(٢) انظر: «فتاوى ابن تيمية» (٧/ ٥٥١، ٥٧٥ - ٦٢٣)، و«جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ١٠٤).

وهو السبب والطريق لكل خير عاجل وآجل، ولا يحصل ولا يقوى ولا يتم إلا بمعرفة ما منه يستمد؛ فإنه يحصل ويقوى ويزيد بأمور كثيرة، منها:

أولاً: معرفة أسماء اللَّه الحسنى، الواردة في الكتاب والسنة، والحرص على فهم معانيها، والتعبد للَّه بها، قال اللَّه عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال النبي ﷺ: «**إن للَّه تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة**»(١)، أي من حفظها، وفهم معانيها، واعتقدها، وتعبد للَّه بها، دخل الجنة، فَعُلِمَ أن ذلك أعظم ينبوع الإيمان، ومادة لحصوله، وقوته، وثباته. ومعرفة أسماء اللَّه عز وجل: هي أصل الإيمان، وتتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي روح الإيمان، وأصله وغايته، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء اللَّه وصفاته ازداد إيمانه، وقوي يقينه، فينبغي للمؤمن أن يبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة الأسماء والصفات، بلا تمثيل، ولا تعطيل، ولا

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار والشروط التي يتعارفها الناس بينهم (٣/ ٢٤٢) برقم (٢٧٣٦)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء اللَّه تعالى وفضل من أحصاها (٤/ ٢٠٦٣)، واللفظ له.

تكييف، ولا تحريف[١].

ثانيا: تدبر القرآن على وجه العموم، فإن المتدبر لا يزال يستفيد من علوم القرآن، ومعارفه ما يزداد به إيمانًا، وكذلك إذا نظر إلى انتظامه وإحكامه، وأنه يصدق بعضه بعضًا، ويوافق بعضه بعضًا، ليس فيه تناقض ولا اختلاف، إذا فعل ذلك تيقن أنه من عند اللَّه، وهذا من أعظم مقويات الإيمان[٢].

ثالثًا: معرفة أحاديث النبي ﷺ، وما تدعو إليه من علوم الإيمان، وأعماله، كل ذلك من محصلات الإيمان ومقوياته، فكلما ازداد العبد معرفة بكتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ ازداد إيمانه ويقينه.

رابعًا: معرفة النبي ﷺ ومعرفة ما هو عليه من الأخلاق العالية، والأوصاف الكاملة؛ فإن من عرفه حق المعرفة لم يَرْتَبْ في صدقه وصدق ما جاء به من الكتاب والدين الحق.

خامسًا: التفكر في الكون: في خلق السموات والأرض وما فيهن من المخلوقات المتنوعة، والنظر في نفس الإنسان وما هو عليه من الصفات؛ فإن ذلك داع قويّ للإيمان؛ لما في هذه الموجودات من عظمة الخلق الدالة على قدرة خالقها، وعظمته،

(١) انظر: «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» للعلامة السعدي (ص٤٠).
(٢) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٢/٢٨)، و«التوضيح والتبيان لشجرة الإيمان» للسعدي (ص٤١).

وما فيها من الحسن والانتظام، والإحكام، الذي يحير العقول، وكذلك النظر إلى فقر المخلوقات كلها واضطرارها إلى ربها من كل الوجوه، وأنها لا تستغني عنه طرفة عين، وذلك يوجب للعبد كمال الخضوع، وكثرة الدعاء، والافتقار إلى الله والتضرع إليه في جلب ما يحتاجه من منافع دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ويوجب له قوة التوكل على ربه، وكمال الثقة بوعده، وشدة الطمع في بره وإحسانه، وبهذا يتحقق الإيمان ويقوى. وكذلك التفكر في كثرة نعم الله العامة والخاصة التي لا يخلو منها مخلوق طرفة عين.

سادسًا: الإكثار من ذكر الله كل وقت، ومن الدعاء الذي هو العبادة؛ فإن الذكر يغرس شجرة الإيمان في القلب، ويغذيها، ويقويها، وكلما ازداد العبد ذكرًا لله قوي إيمانه، ويكون الذكر على كل حال: باللسان، والقلب، والعمل، والحال؛ فنصيب العبد من الإيمان على قدر نصيبه من هذا الذكر.

سابعًا: معرفة محاسن الإسلام؛ فإن الدين الإسلامي كله محاسن: عقائده أصح العقائد، وأصدقها، وأنفعها، وأخلاقه أجمل الأخلاق، وأعماله وأحكامه أحسن الأحكام وأعدلها، وبهذا النظر يزين الله الإيمان في قلب العبد ويحببه إليه، فيجد حلاوة الإيمان، فيتجمل الباطن بأصول الإيمان، وحقائقه،

ويتجمل الظاهر بأعمال الإيمان.

ثامنًا: الاجتهاد في الإحسان في عبادة اللَّه عز وجل، والإحسان إلى خلقه؛ فيجتهد الإنسان في عبادة اللَّه كأنه يشاهده، فإن لم يقوَ على ذلك استحضر أن اللَّه يشاهده ويراه، فيجتهد في إكمال العمل وإتقانه، وكذلك الإحسان إلى الخلق: بالقول والفعل، والمال، والجاهِ، وأنواع المنافع، فإذا أحسن عبادة الخالق، وأحسن إلى خلقه، وواظب على ذلك قوي إيمانه، ويقينه، ويصل ذلك إلى حق اليقين، الذي هو أعلى مراتب اليقين، فيذوق حلاوة الطاعات، ويجد ثمرة المعاملات، وهذا هو الإيمان الكامل.

تاسعًا: الاتصاف بصفات المؤمنين؛ من الخشوع في الصلاة، وحضور القلب فيها، وأداء الزكاة، والإعراض عن اللغو الذي هو كل كلام لا خير فيه، وكل فعل لا خير فيه، بل يقول المسلم الخير ويفعله، ويترك الشر قولاً وفعلاً، لا شك أن ذلك كله يزيد الإيمان، ويقوّيه، وكذلك العفة عن الفواحش، ورعاية الأمانات والعهود، وحفظها من علامات الإيمان.

عاشرًا: الدعوة إلى اللَّه وإلى دينه، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والدعوة إلى أصل الدين، والتزام شرائعه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبذلك يُكَمِّل العبد نفسه

ويكمِّل غيره.

الحادي عشر: الابتعاد عن شعب الكفر والنفاق، والفسوق والعصيان؛ فإنه لابد في الإيمان من فعل جميع الأسباب المقوية المنمية له، ولابد مع ذلك من دفع الموانع والعوائق، وهي الإقلاع عن المعاصي، والتوبة مما يقع منها، وحفظ الجوارح كلها عن المحرمات، ومقاومة فتن الشبهات القادحة في علوم الإيمان المضعفة له، والشهوات المضعفة لإرادات الإيمان.

الثاني عشر: التقرب إلى اللَّه بالنوافل بعد الفرائض، وتقديم ما يحبه اللَّه على كل ما سواه عند غلبة الهوى.

الثالث عشر: الخلوة باللَّه وقت نزوله، لمناجاته، وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب، والتأدب بآداب العبودية بين يديه، ثم خَتْمُ ذلك بالاستغفار والتوبة.

الرابع عشر: مجالسة العلماء الصادقين المخلصين؛ والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما يُنتقى أطايب الثمر[١].

المطلب الثالث: ثمرات الإيمان وفوائده:

الإيمان له فوائد وثمرات لا تعد ولا تحصى، فكم له من ذلك في القلب، والبدن، والراحة، والحياة الطيبة، والدنيا والآخرة،

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم» (٣/ ١٧)، و«التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» للسعدي (ص٤٠ - ٦٢).

ومجملها أن خيرات الدنيا والآخرة، ودفع الشرور كلها من ثمرات الإيمان، ومن هذه الثمرات والفوائد ما يلي:

أولاً: الاغتباط بولاية الله عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ثم وصفهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣]، وقوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] أي يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات المعاصي إلى نور الطاعات، ومن ظلمات الغفلة إلى نور اليقظة والذكر.

ثانيا: الفوز برضا الله، قال الله عز وجل: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧١ - ٧٢]، فنالوا رضوان الله ورحمته، والفوز بهذه المساكن الطيبة، بإيمانهم الذي كملوا به أنفسهم، وكملوا غيرهم بقيامهم بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

فحصلوا على أعظم الفوز والفلاح.

ثالثًا: الإيمان الكامل يمنع من دخول النار، والإيمان الضعيف يمنع من الخلود فيها، فإن من آمن إيمانًا أدى به جميع الواجبات، وترك جميع المحرمات، فإنه لا يدخل النار، كما أنه لا يخلد في النار من كان في قلبه شيء من الإيمان.

رابعًا: إن الله يدافع عن الذين آمنوا جميع المكاره، وينجيهم من الشدائد، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨] أي يدافع عنهم كل مكروه، وشر شياطين الإنس والجن، ويدافع عنهم الأعداء، ويدافع عنهم المكاره قبل نزولها، ويرفعها أو يخففها بعد نزولها، قال الله عز وجل: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧ - ٨٨]، وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣]، وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢]، أي من كل ما ضاق على الناس ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤] فالمؤمن المتقي ييسر الله له أموره، وييسره لليسرى، ويجنبه

العسرى، ويسهل عليه الصعاب، ويجعل له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب، وشواهد هذا كثيرة من الكتاب والسنة.

خامسًا: الإيمان يثمر الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، قال اللَّه عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، وذلك أن من خصائص الإيمان أنه يثمر طمأنينة القلب، وراحته، وقناعته، بما رزقه اللَّه، وعدم تعلقه بغيره، وهذه هي الحياة الطيبة، فإن أصل الحياة الطيبة: راحة القلب وطمأنينته، وعدم تشوشه مما يتشوش منه الفاقد للإيمان الصحيح، والحياة الطيبة تشمل: الرزق الحلال الطيب، والقناعة، والسعادة، ولذّة العبادة في الدنيا، والعمل بالطاعة والانشراح بها(١).

قال الإمام ابن كثير: «والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله»(٢)، قال النبي ﷺ: **«قد أفلح من أسلم، ورزق كفافًا وقنعه اللَّه بما آتاه»**(٣)، وقال ﷺ: **«إن اللَّه لا يظلم المؤمن حسنةً يُعطى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات**

---

(١) «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» للسعدي (ص٦٨).
(٢) انظر: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٢/٥٦٦).
(٣) مسلم، كتاب الزكاة، باب الكفاف والقناعة (٢/ ٧٣٠) برقم (١٠٥٤).

ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يُجزى بها»[١] .

سادسًا: إن جميع الأعمال والأقوال إنما تصح وتكمل بحسب ما يقوم بقلب صاحبها؛ من الإيمان والإخلاص، قال الله عز وجل: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ [الأنبياء: ٩٤] ، أي لا يجحد سعيه ولا يضيع عمله، بل يضاعف بحسب قوة إيمانه، وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩] ، والسعي للآخرة، هو العمل بكل ما يقرب إليها من الأعمال التي شرعها الله على لسان نبيه محمد ﷺ.

سابعًا: صاحب الإيمان يهديه الله إلى الصراط المستقيم، ويهديه في الصراط المستقيم إلى علم الحق، والعمل به، وإلى تلقي المحاب والمسار بالشكر، وتلقي المكاره والمصائب بالرضا والصبر، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ [يونس: ٩][٢] ، قال الإمام ابن كثير –

---

(١) مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا، (٤/٢١٦٢) برقم (٢٨٠٨).

(٢) وانظر: سورة الحج الآية (٥٤)، وانظر: «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» للسعدي (ص٧٠).

رحمه اللَّه -: «يحتمل أن تكون الباء هنا سببية، فتقديره: أي بحسب إيمانهم في الدنيا، يهديهم اللَّه يوم القيامة على الصراط المستقيم، حتى يجوزوه ويخلصوا إلى الجنة، ويحتمل أن تكون للاستعانة»، كما قال مجاهد: «يهديهم ربهم بإيمانهم» قال: «يكون لهم نورًا يمشون به»[(١)]، وقيل: يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة إذا قام من قبره يعارض صاحبه ويبشره بكل خير، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك، فيجعل له نورًا من بين يديه، حتى يدخله الجنة[(٢)] .

ثامنًا: **الإيمان يثمر محبة اللَّه للعبد ويجعل محبته في قلوب المؤمنين**، ومن أحبه اللَّه وأحبه المؤمنون حصلت له السعادة، والفلاح، والفوائد الكثيرة من محبة المؤمنين: من الثناء الحسن، والدعاء له حيًا وميتًا، قال اللَّه عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦] .

تاسعًا: **حصول الإمامة في الدين**، وهذا من أجلّ ثمرات الإيمان، أن يجعل اللَّه للمؤمنين الذين كملوا إيمانهم بالعلم والعمل لسان صدق، ويجعلهم أئمة يهدون بأمره، ويقتدى بهم،

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٣٩٠).
(٢) انظر: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» للطبري (١٥/ ٢٧)، وأسنده إلى قتادة.

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين؛ لأن رأس الإيمان وكماله: الصبر واليقين.

عاشرًا: حصول رفع الدرجات، قال الله عز وجل: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] فهم أعلا الخلق درجة عند الله، وعند عباده في الدنيا والآخرة، وإنما نالوا هذه الرفعة بإيمانهم الصحيح، وعلمهم ويقينهم.

الحادي عشر: حصول البشارة بكرامة الله والأمن التام من جميع الوجوه، كما قال عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣، التوبة: ١١٢، يونس: ٨٧، الأحزاب: ٤٧، الصف: ١٣]، فأطلقها ليعم الخير العاجل والآجل، وقيدها في مثل قوله عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥]، فلهم البشارة المطلقة والمقيدة، ولهم الأمن المطلق في الدنيا والآخرة في مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] ولهم الأمن المقيد في مثل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨]، فنفى عنهم الخوف لما يستقبلوه، والحزن مما مضى، وبذلك يتم لهم الأمن، فالمؤمن له الأمن التام في

الدنيا والآخرة، وله البشارة بكل خير[١].

الثاني عشر: يحصل بالإيمان الثواب المضاعف، وكمال النور الذي يمشي به العبد في حياته، ويمشي به يوم القيامة، ففي الدنيا: يسير بنور علمه وإيمانه، وإذا طفئت الأنوار يوم القيامة مشى بنوره على الصراط حتى يجوز به إلى دار الكرامة والنعيم، وكذلك رتب الله المغفرة على الإيمان، ومن غفرت سيئاته سلم من العقاب، ونال أعظم الثواب، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨][٢].

الثالث عشر: حصول الفلاح والهدى للمؤمنين بسبب إيمانهم، قال الله عز وجل بعد ذكره إيمان المؤمنين بما أنزل على محمد ﷺ، وما أنزل على من قبله، والإيمان بالغيب، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]، فهذا هو الهدى التام والفلاح الكامل، فلا سبيل إلى الهدى والفلاح إلا بالإيمان التام.

الرابع عشر: الانتفاع بالمواعظ من ثمرات الإيمان، قال الله عز وجل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وهذا؛

(١) انظر: «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» للسعدي (ص٧٧- ٨٨).
(٢) وانظر سورة الأنفال الآية (٢٩).

لأن الإيمان يحمل صاحبه على التزام الحق، واتباعه، علمًا وعملاً، ومعه الآلة العظيمة والاستعداد لتلقي المواعظ النافعة، وليس عنده مانع يمنعه من قبول الحق ولا من العمل به.

الخامس عشر: الإيمان يحمل صاحبه على الشكر في حالة السراء، والصبر في حالة الضراء، وكسب الخير في كل أوقاته، قال اللَّه عز وجل: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢ - ٢٣]، وقال عز وجل: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، ولو لم يكن من ثمرات الإيمان إلا أنه يسلي صاحبه عن المصائب والمكاره التي كل أحد عرضة لها في كل وقت، ومصاحبة الإيمان واليقين أعظم مسلٍّ عنها؛ قال النبي ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سرّاءُ شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراءُ صبر فكان خيرًا له**»(١)، والشكر والصبر هما جماع كل خير، فالمؤمن مغتنم للخيرات في كل أوقاته، رابح في كل حالاته، ويجتمع له

(١) مسلم، كتاب الزهد، باب المؤمن أمره كله خير (٤/٢٢٩٥) برقم (٢٩٩٩).

عند النعم والسراء، نعمتان: نعمة حصول المحبوب، ونعمة التوفيق للشكر الذي هو أعلى من ذلك، وبذلك تتم عليه النعمة، ويجتمع له عند حصول الضراء ثلاث نعم: نعمة تكفير السيئات، ونعمة حصول مرتبة الصبر التي هي أعلى من ذلك، ونعمة سهولة الضراء عليه؛ لأنه متى عرف حصول الأجر، والثواب، والتمرن على الصبر هانت عليه المصيبة(١).

السادس عشر: الإيمان الصحيح يدفع الريب والشك، ويقاوم ويقطع جميع الشكوك التي تعرض لكثير من الناس فتضرهم في دينهم، وليس لعلل الشكوك التي تلقيها شياطين الإنس والجن، والنفوس الأمارة بالسوء دواء إلا تحقيق الإيمان، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات: ١٥].

وعلاج هذه الوساوس بأربعة أمور:

١- الانتهاء عن هذه الوساوس الشيطانية.

٢- الاستعاذة من شر من ألقاها وهو الشيطان.

٣- الاعتصام بعصمة الإيمان فيقول: «آمنت بالله».

٤- الانتهاء عن التفكير فيها(٢).

---

(١) انظر: «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» (ص٧١، ٨٨).

(٢) انظر: «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» للسعدي (ص٨٣).

السابع عشر: الإيمان بالله عز وجل ملجأ المؤمنين في كل ما يلم بهم: من سرور وحزن، وخوف وأمن، وطاعة ومعصية، وغير ذلك من الأمور التي لابد لكل أحد منها، فعند المحاب والسرور يلجؤون إلى الإيمان، فيحمدون الله، ويثنون عليه، ويستعملون النعم فيما يحب، وعند المكاره والأحزان يلجؤون إلى الإيمان من جهات عديدة: يتسلون بإيمانهم وحلاوته، ويتسلون بما يترتب على ذلك من الثواب، ويقابلون الأحزان والقلق براحة القلب، والرجوع إلى الحياة الطيبة المقاومة للأحزان، ويلجؤون إلى الإيمان عند الخوف، فيطمئنون إليه ويزيدهم إيمانًا، وثباتًا، وقوة، وشجاعة، ويضمحل الخوف الذي أصابهم، كما قال الله تعالى عن الصحابة رضي الله عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤].

الثامن عشر: الإيمان الصحيح يمنع العبد من الوقوع في الموبقات المهلكة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو**

مؤمن»[١]، ومن وقع منه ذلك؛ فلضعف إيمانه، وذهاب نوره، وزوال الحياء من الله، وهذا معروف مشاهد، والإيمان الصحيح الصادق، يصحبه الحياء من الله ، والحب له، والرجاء القوي لثوابه، والخوف من عقابه، ورغبته في اكتساب النور، وهذه الأمور تأمر صاحبها بكل خير، وتزجره عن كل شر.

التاسع عشر: خير الخليقة قسمان هم أهل الإيمان، فعن أبي موسى ﷺ ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»**[٢]، فالناس أربعة أقسام:

القسم الأول: خير في نفسه، متعدٍ خيره إلى غيره، وهو خير الأقسام، فهذا المؤمن الذي قرأ القرآن وتعلم علوم الدين، فهو نافع نفسه، نافع لغيره، مبارك أينما كان.

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب المظالم، باب النهبى بغير إذن صاحبه (٣/ ١٤٦) برقم (٢٤٧٥)، ومسلم واللفظ له، كتاب الإيمان، باب نقصان الإيمان بالمعاصي (١/ ٧٦) برقم (٥٧).

(٢) مسلم، كتاب صلاة المسافرين، وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن (١/ ٥٤٩) برقم (٧٩٧).

القسم الثاني: طيب في نفسه صاحب خير وهو المؤمن الذي ليس عنده من العلم ما يعود به على غيره، فهذان القسمان هما خير الخليقة، والخير الذي فيهم عائد إلى ما معهم من الإيمان القاصر، والمتعدي نفعه إلى الغير بحسب أحوال المؤمنين.

القسم الثالث: من هو عادم للخير، ولكنه لا يتعدى ضرره إلى غيره.

القسم الرابع: من هو صاحب شر على نفسه وعلى غيره، فهذا شر الأقسام.

فعاد الخير كله إلى الإيمان وتوابعه، وعاد الشر إلى فقد الإيمان والاتصاف بضده[١].

العشرون: الإيمان يثمر الاستخلاف في الأرض، قال اللَّه عز وجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

الحادي والعشـــرون: الإيمان ينصر اللَّه به العبد، قال اللَّه عز وجل: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

الثاني والعشرون: الإيمان يثمر للعبد العزة، قال اللَّه عز

---

(١) انظر: «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» للسعدي (ص٦٣-٩٠).

وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقين: ٨] .

الثالث والعشرون: الإيمان يثمر عدم تسليط الأعداء على المؤمنين، قال اللَّه عز وجل: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١] .

الرابع والعشرون: الأمن التام والاهتداء، قال اللَّه عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] .

الخامس والعشرون: حفظ سعي المؤمنين؛ قال اللَّه عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

السادس والعشرون: زيادة الإيمان للمؤمنين؛ قال اللَّه عز وجل: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

السابع والعشرون: نجاة المؤمنين، قال اللَّه عز وجل في قصة يونس: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] .

الثامن والعشرون: الأجر العظيم لأهل الإيمان، قال اللَّه عز وجل: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦].

التاسع والعشرون: معية الله لأهل الإيمان، وهي المعية الخاصة: معية التوفيق والإلهام والتسديد، قال الله عز وجل: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].

الثلاثون: أهل الإيمان في أمن من الخوف والحزن، قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨].

الحادي والثلاثون: الأجر الكبير: قال الله عز وجل: ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

الثاني والثلاثون: الأجر غير الممنون، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨].

الثالث والثلاثون: القرآن إنما هو هدى ورحمة للمؤمنين[١]، وشفاء ورحمة[٢] وهو لهم هدى وشفاء[٣].

الرابع والثلاثون: أهل الإيمان: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤].

المطلب الرابع: شعب الإيمان:

الإيمان له شعب كثيرة، وهذا يدل على أن الإيمان إذا أفرد

(١) انظر: سورة يونس، الآية: (٥٧).
(٢) انظر: سورة الإسراء، الآية: (٨٢).
(٣) انظر: سورة فصلت، الآية: (٢٤).

شمل الدين كله، وقد بين النبي ﷺ شعب الإيمان إجمالاً وتفصيلاً، أما الإجمال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان»**، وفي رواية: **«الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا اللَّه، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»**[١]. وقد ذكر الإمام بكر البيهقي سبعًا وسبعين شعبة من شعب الإيمان[٢] وهذه الشعب باختصار على النحو الآتي:

١- الإيمان باللَّه عز وجل.
٢- الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام.
٣- الإيمان بالملائكة.
٤- الإيمان بالقرآن الكريم وجميع الكتب المنزلة.
٥- الإيمان بالقدر خيره وشره من اللَّه عز وجل.
٦- الإيمان باليوم الآخر.

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم: البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، (١/ ١٠) برقم (٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان (١/ ٦٣)، برقم (٤٥).

(٢) ذكر ذلك في سبعة مجلدات، وشرحها شرحًا نفيسًا بالأحاديث بسنده.

٧- الإيمان بالبعث بعد الموت.
٨- الإيمان بحشر الناس بعد ما يبعثون من قبورهم إلى الموقف.
٩- الإيمان بأن دار المؤمنين الجنة، ودار الكافرين النار.
١٠- الإيمان بوجوب محبة اللّه عز وجل.
١١- الإيمان بوجوب الخوف من اللّه عز وجل[1].
١٢- الإيمان بوجوب الرجاء من اللّه عز وجل.
١٣- الإيمان بوجوب التوكل على اللّه عز وجل.
١٤- الإيمان بوجوب محبة النبي ﷺ.
١٥- الإيمان بوجوب تعظيم النبي ﷺ، وتبجيله، وتوقيره بدون غلو.
١٦- حب المرء لدينه حتى يكون القذف في النار أحب إليه من الكفر.
١٧- طلب العلم: وهو معرفة اللّه، ودينه، ونبيه ﷺ بالأدلة.
١٨- نشر العلم، وتعليمه للناس.
١٩- تعظيم القران الكريم: بتعلمه، وتعليمه، وحفظ حدوده، وأحكامه وعلم حلاله، وحرامه، وتبجيل أهله، وحفظه[2].
٢٠- الطهارة والمحافظة على الوضوء.

---

(١) هذه الشعب في المجلد الأول من شعب الإيمان للبيهقي، (١/ ١٠٣ - ٤٦٣).
(٢) هذه الشعب من رقم (١٢ - ١٩)، في المجلد الثاني من «شعب الإيمان» للبيهقي (٢/ ٣ - ٥٤٨).

٢١- المحافظة على الصلوات الخمس.

٢٢- أداء الزكاة.

٢٣- الصيام: الفرض والنفل.

٢٤- الاعتكاف.

٢٥- الحج[1].

٢٦- الجهاد في سبيل اللّه عز وجل.

٢٧- المرابطة في سبيل اللّه عز وجل.

٢٨- الثبات للعدو وترك الفرار من الزحف.

٢٩- أداء الخمس من المغنم إلى الإمام أو نائبه على الغانمين.

٣٠- العتق بوجه التقرب إلى اللّه عز وجل.

٣١- الكفارات الواجبة بالجنايات، وهي في الكتاب والسنة أربع: كفارة القتل، وكفارة الظهار، وكفارة اليمين، وكفارة المسيس في صوم رمضان.

٣٢- الإيفاء بالعقود

٣٣- تعديد نعم اللّه عز وجل وما يجب من شكرها.

٣٤- حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه.

---

(١) هذه الشعب من رقم (٢٠ - ٢٥)، في المجلد الثالث من «شعب الإيمان» للبيهقي (٣/٣ - ٤٩٤).

٣٥- حفظ الأمانات ووجوب أدائها إلى أهلها.

٣٦- تحريم قتل النفس، والجنايات عليها.

٣٧- تحريم الفروج وما يجب فيها من التعفف.

٣٨- قبض اليد عن الأموال المحرمة، ويدخل فيها: تحريم السرقة، وقطع الطريق، وأكل الرشاء، وأكل ما لا يستحقه شرعًا[١].

٣٩- وجوب التورع في المطاعم والمشارب، واجتناب مالا يحل منها.

٤٠- ترك الملابس والزي والأواني المحرمة والمكروهة.

٤١- تحريم الملاعب والملاهي المخالفة للشريعة.

٤٢- الاقتصاد في النفقة وتحريم أكل المال بالباطل.

٤٣- ترك الغل والحسد.

٤٤- تحريم أعراض الناس وما يلزم من ترك الوقوع فيها.

٤٥- إخلاص العمل للّه عز وجل وترك الرياء.

٤٦- السرور بالحسنة والاغتمام بالسيئة.

٤٧- معالجة كل ذنب بالتوبة النصوح.

٤٨- القرابين وجملتها: الهدي، والأضحية، والعقيقة[٢].

---

(١) هذه الشعب من رقم (٢٦ - ٣٨)، في المجلد الرابع من «شعب الإيمان» للبيهقي (٤/٣ - ٣٩٨).

(٢) هذه الشعب من رقم (٣٩ - ٤٨)، في المجلد الخامس من «شعب الإيمان» للبيهقي (٥/٣ - ٤٨٥).

٤٩- طاعة أولي الأمر.
٥٠- التمسك بما عليه الجماعة.
٥١- الحكم بين الناس بالعدل.
٥٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٥٣- التعاون على البر والتقوى.
٥٤- الحياء.
٥٥- بر الوالدين.
٥٦- صلة الأرحام.
٥٧- حسن الخلق.
٥٨- الإحسان إلى المماليك.
٥٩- حق السادة على المماليك.
٦٠- القيام بحقوق الأولاد والأهلين.
٦١- مقاربة أهل الدين، وموادتهم، وإفشاء السلام والمصافحة لهم.
٦٢- رد السلام.
٦٣- عيادة المريض(١).
٦٤- الصلاة على من مات من أهل القبلة.

(١) هذه الشعب من رقم (٤٩ - ٦٣)، في المجلد السادس من «شعب الإيمان» للبيهقي (٦/٣- ٥٤٧).

٦٥- تشميت العاطس.
٦٦- مباعدة الكفار والمفسدين والغلظة عليهم.
٦٧- إكرام الجار.
٦٨- إكرام الضيف.
٦٩- الستر على أصحاب الذنوب.
٧٠- الصبر على المصائب وعما تنزع النفس إليه من لذة وشهوة.
٧١- الزهد وقصر الأمل.
٧٢- الغيرة وترك المذاء[١].
٧٣- الإعراض عن الغلو.
٧٤- الجود والسخاء.
٧٥- رحمة الصغير وتوقير الكبير.
٧٦- إصلاح ذات البين.
٧٧- أن يحب المرء لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، ويدخل فيه إماطة الأذى عن الطريق، المشار إليه في الحديث[٢].

---

(١) المِذَاء: اختلاط الرجال بالنساء يماذي بعضهم بعضًا، أي يلاعب بعضهم بعضًا، وقيل (المَذاء) بالفتح، كأنه من اللين والرخاوة، والمذاء: الديوث الذي لا يغار على أهله.
(٢) هذه الشعب من رقم (٦٤ - ٧٧)، في المجلد السابع من «شعب الإيمان» للبيهقي (٧/ ٣- ٥٤٠).

المطلب الخامس: صفات المؤمنين:

المؤمنون لهم صفات كريمة وأعمال عظيمة وصفهم الله بها وأثنى عليهم ومن هذه الصفات على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

أولاً: قال الله عز وجل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال: ١ - ٣].

وقد ظهر في هذه الآيات صفات عظيمة من صفات المؤمنين وهي:

١- طاعة الله ورسوله ﷺ.

٢- خوف الله ورهبته وخشيته عز وجل.

٣- زيادة الإيمان عند سماع القرآن، لتدبرهم له.

٤- التوكل والاعتماد على الله عز وجل مع العمل بالأسباب.

٥- إقام الصلاة: من فرائض ونوافل بأعمالها الظاهرة والباطنة.

٦- الإنفاق الواجب: كالزكوات، والكفارات، والنفقة على من تجب نفقته، والصدقة في طريق الخير.

ثانيا: قول الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

ففي هذه الآية صفات عظيمة اتصف بها المؤمنون وهي:

١- موالاة المؤمنين ومحبتهم ونصرتهم.

٢- الأمر بالمعروف، وهو اسم جامع لكل ما عرف حسنه: من العقائد الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة.

٣- النهي عن المنكر، وهو كل ما خالف المعروف وناقضه: من العقائد الباطلة، والأعمال الخبيثة، والأخلاق الرذيلة.

٤- إقام الصلاة بأعمالها الظاهرة والباطنة، من فرض ونفل.

٥- إعطاء الزكاة لأهلها بأصنافهم الثمانية.

٦- طاعة الله ورسوله ﷺ وملازمة ذلك في جميع الأحوال.

ثالثا: قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ

لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١١ - ١١٢].

فظهر في هاتين الآيتين صفات عظيمة من صفات أهل الإيمان وهي على النحو الآتي.

١- القتال في سبيل اللَّه وبذل الجهد والطاقة في ذلك.

٢- التوبة من جميع الذنوب وملازمتها في جميع الأوقات.

٣- العبودية للَّه عز وجل بالقيام بجميع الواجبات، والمستحبات، والابتعاد عن جميع المحرمات والمكروهات في كل وقت فبذلك يكون العبد من العابدين.

٤- الحمد للَّه في السراء والضراء والثناء عليه بنعمه والاعتراف بالنعم الظاهرة والباطنة.

٥- السياحة في السفر بطلب العلم، والحج والعمرة، والجهاد، وصلة الأقارب ونحو ذلك، كصيام النفل المشروع.

٦- الإكثار من الصلاة المشتملة على الركوع والسجود.

٧- الأمر بالمعروف، ويدخل فيه جميع الواجبات والمستحبات.

٨- النهي عن المنكر: ويدخل فيه كل ما نهى عنه اللَّه ورسوله ﷺ.

٩- تعلم حدود ما أنزل اللَّه على رسوله وما يدخل في الأوامر والنواهي والأحكام، وما لا يدخل، الملازمون لذلك

فعلًا وتركًا.

رابعًا: قال الله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى
صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ
لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ
أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ
ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ
﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾
ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ١١]،
وهذه الصفات في هذه الآيات على النحو الآتي:

١- الخشوع في الصلاة وحضور القلب بين يدي الله عز وجل فيها.

٢- الإعراض عن اللغو الذي لا خير فيه، فإن من أعرض عن ذلك كان إعراضه عن المحرم من باب أولى.

٣- تأدية زكاة الأموال وتزكية النفوس من أدناس الأخلاق وذلك بتركها.

٤- حفظ الفروج عن الزنا وتجنب ما يكون وسيلة إلى ذلك: كالنظر، والخلوة، واللمس.

٥- حفظ الأمانات سواء كانت من حقوق الله أو حقوق العباد، والآية عامة.

٦- حفظ العهود والمواثيق بين العبد وبين اللَّه وبين الإنسان وبين العباد.

٧- المحافظة على الصلاة بأركانها وشروطها وواجباتها ومستحباتها.

وغير ذلك من صفات المؤمنين في كتاب اللَّه عز وجل، وأسأل اللَّه عز وجل أن يوفقني وجميع المسلمين للاتصاف بهذه الصفات الكريمة.

* * *

المبحث الثاني : ظلمات النفاق

المطلب الأول: مفهوم النفاق:

أولاً: مفهوم النفاق لغة وشرعًا:

النفاق: لغة: النفق سرب في الأرض، مشتق إلى موضع آخر، وفي التهذيب له مخلص إلى مكان آخر، والنفقة والنافقاء، جحر الضب واليربوع، وقيل: النفقة والنافقاء موضع يرققه اليربوع من جحره، فإذا أُتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فخرج، ونفق اليربوع ونفق «بالفتح» وانتفق، ونفق خرج منه. ونفق اليربوع تنفيقًا ونافق أي دخل في نافقائه، ومنه اشتقاق المنافق في الدين، والنفاق بالكسر: فعل النافق، والنفاق الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من وجه آخر[1]، وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**لتتبعن سنن الذين من قبلكم، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم**» قلنا: يا رسول اللّه، اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن**»؟[2].

والنفاق: شرعًا: كما قال ابن كثير رحمه اللّه: «النفاق هو إظهار

---

(١) النفاق وآثاره ومفاهيمه، تأليف الشيخ عبد الرحمن الدوسري (ص١٠٥ - ١٠٦).

(٢) مسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، (٤/ ٢٠٥٤) برقم (٢٦٦٩).

الخير وإسرار الشر، وهو أنواع: اعتقادي، وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي وهو من أكبر الذنوب. قال ابن جريج: المنافق يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه»(١).

والنفاق نوعان: أكبر يخرج من الملة، وأصغر لا يخرج من الملة(٢).

ثانيًا: مفهوم الزنديق:

الزنديق: الزنديق بالكسر من الثنوية، أو القائل بالنور والظلمة، أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية، أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الزنديق في عرف الفقهاء، هو المنافق الذي كان على عهد النبي ﷺ، وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره، سواء أبطن دينا من الأديان كدين اليهود والنصارى أو غيرهم، أو كان معطلًا جاحدًا للصانع، والمعاد، والأعمال الصالحة. ومن الناس من يقول: الزنديق هو الجاحد

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/٤٨) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، وانظر: «تفسير ابن جرير» الطبري (١/٢٦٨ - ٢٧٢).

(٢) انظر: «قضية التكفير» للكاتب (ص٦٨، ١٣٢ - ١٣٤).

(٣) «القاموس المحيط» فصل الزاي، باب القاف (ص١١٥١).

المعطل، وهذا يسمى في اصطلاح كثير من أهل الكلام والعامة، ونقلة مقالات الناس، ولكن الزنديق الذي تكلم الفقهاء في حكمه هو الأول؛ لأن مقصودهم هو التمييز بين الكافر وغير الكافر والمرتد وغير المرتد، ومن أظهر ذلك أو أسرَّه. وهذا الحكم يشترك فيه جميع أنواع الكفار والمرتدين، وإن تفاوتت درجاتهم في الكفر والردة؛ فإن الله أخبر بزيادة الكفر - كما أخبر بزيادة الإيمان - بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧]، وتارك الصلاة وغيرها من الأركان، أو مرتكبي الكبائر. كما أخبر بزيادة عذاب بعض الكفار على بعض في الآخرة بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨]. فهذا أصل ينبغي معرفته، فإنه مهم في هذا الباب، فإن كثيرًا ممن تكلم في «مسائل الإيمان والكفر» لتكفير أهل الأهواء - لم يلحظوا هذا الباب، ولم يميزوا بين الحكم الظاهر والباطن مع أن الفرق بين هذا وهذا ثابت بالنصوص المتواترة والإجماع المعلوم، بل هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام ومن تدبر هذا علم أن كثيرًا من أهل الأهواء والبدع قد يكون مؤمنًا مخطئًا، جاهلًا ضالاً عن بعض ما جاء به الرسول ﷺ. وقد يكون منافقًا زنديقًا يظهر خلاف ما يبطن»[1].

(١) «فتاوى شيخ الإسلام» ابن تيمية (٧/ ٤٧١).

المطلب الثاني: أنواع النفاق:

النفاق: نفاقان: نفاق دون نفاق، أو نفاق مخرج من الملة، ونفاق لا يخرج من الملة[١].

أولاً: النفاق الأكبر:

وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ، ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أنهم في الدرك الأسفل من النار[٢].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعض صور النفاق الأكبر فقال: «فمن النفاق ما هو أكبر يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، كنفاق عبد الله بن أبي وغيره، بأن يظهر: تكذيب الرسول ﷺ، أو جحود بعض ما جاء به، أو بغضه، أو عدم اعتقاد وجود طاعته، أو المسرة بانخفاض دينه، أو المساءة بظهور دينه، ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدوًا لله ورسوله، وهذا القدر كان موجودًا في زمن رسول الله ﷺ،

(١) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ٣٤٧ - ٣٥٩).
(٢) «جامع العلوم والحكم» للإمام ابن رجب رحمه الله تعالى (٢/ ٤٨٠)، وانظر: «صفات المنافقين» لابن القيم (ص٤).

وما زال بعده، بل هو بعده أكثر منه على عهده ﷺ. . . »[١].

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه اللَّه تعالى: « . . . فأما النفاق الاعتقادي فهو ستة أنواع: تكذيب الرسول ﷺ، أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ، أو بغض الرسول ﷺ، أو بغض ما جاء به الرسول، أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية بانتصار دين الرسول ﷺ، فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار»[٢].

فيتحصل مما ذكره هذان الإمامان أنواعٌ أو صفاتٌ للنفاق الأكبر، وهي:

١- تكذيب الرسول ﷺ.

٢- تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

٣- بغض الرسول ﷺ.

٤- بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

٥- المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ.

٦- الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.

٧- عدم اعتقاد وجوب تصديقه ﷺ فيما أخبر به.

---

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» رحمه اللَّه تعالى (٢٨/ ٤٣٤).

(٢) «مجموعة التوحيد» لشيخي الإسلام أحمد بن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب (ص٧).

٨- عدم اعتقاد وجوب طاعته فيما أمر به.

وغير ذلك مما دل القرآن الكريم أو السنة المطهرة على أنه من النفاق الأكبر المخرج من ملة الإسلام[١].

ثانيًا: النفاق الأصغر:

وهو النفاق العملي: وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحةً ويبطن ما يُخالف ذلك وأصول هذا النفاق ترجع إلى حديث عبد اللَّه بن عمرو، وعائشة رضي الله عنهم وهي خمسة أنواع:

١- أن يحدث بحديث لمن يصدقه به وهو كاذب له.

٢- إذا وعد أخلف، وهو على نوعين:

أ - أن يعد ومن نيته أن لا يفي بوعده وهذا أَشرُّ الخلف، ولو قال: أفعل كذا إن شاء اللَّه تعالى ومن نيته أن لا يفعل كان كذبًا وخُلْفًا - قاله: الأوزاعي.

ب - أن يعد ومن نيته أن يفي ثم يبدو له، فيخلف من غير عذر له في الخلف.

٣- إذا خاصم فجر، ويعني بالفجور أن يخرج عن الحق عمدًا حتى يصير الحقّ باطلًا، والباطل حقًا، وهذا مما يدعو إلى الكذب.

---

(١) انظر: «نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف» للدكتور محمد بن عبد اللَّه الوهيبي (٢/ ١٦٠).

٤- إذا عاهد غدر ولم يف بالعهد، والغدر حرام في كل عهدٍ بين المسلمين وغيرهم، ولو كان المعاهد كافرًا.

٥- الخيانة في الأمانة، فإذا ائتمن المسلم أمانة، فالواجب عليه أن يؤديها.

وحاصل الأمر أن النفاق الأصغر كُلّه يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية، واختلاف القلب واللسان، واختلاف الدخول والخروج؛ ولهذا قالت طائفة من السلف: خشوع النفاق: أن ترى الجسد خاشعًا والقلب ليس بخاشع[(١)].

وهذا النفاق لا يخرج من الملة فهو «نفاق دون نفاق»؛ لحديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«أربع من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر»**[(٢)]؛ ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال:

---

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٤٨٠ - ٤٩٥)، فقد أعطى الموضوع حقه وذكر فوائد جمة فلتراجع. وانظر: «مجموعة التوحيد» (ص٧).

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق (١/ ١٧) برقم (٣٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق (١/ ٧٨) برقم (٥٨).

«آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمن خان»[١].

ثالثًا: الفرق بين النفاق الأكبر والأصغر:

١- النفاق الأكبر يخرج من الملة والنفاق الأصغر لا يخرج من الملة[٢].

٢- النفاق الأكبر يحبط جميع الأعمال.

٣- النفاق الأكبر اختلاف السر والعلانية في الاعتقاد، والأصغر اختلاف السر والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد[٣].

٤- النفاق الأكبر يخلد صاحبه في النار إذا مات عليه.

٥- النفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن، أما النفاق الأصغر فقد يصدر من المؤمن.

٦- النفاق الأكبر في الغالب لا يتوب صاحبه[٤] وإذا تاب فقد اختلف في توبته في الظاهر عند الحاكم؛ لكون ذلك لا يعلم إذ هم دائمًا يظهرون الإسلام[٥].

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق (١/ ١٦) برقم (٣٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق (١/ ٧٨) برقم (٥٩).

(٢) انظر: «كتاب التوحيد» للدكتور صالح الفوزان (ص١٨).

(٣) انظر: «كتاب التوحيد» للفوزان (ص١٨).

(٤) انظر: «كتاب التوحيد» للفوزان (ص١٨).

(٥) انظر: «فتاوى ابن تيمية» (٢٨/ ٣٣٤).

المطلب الثالث: صفات المنافقين:

المنافقون لهم صفات كثيرة، بينها الله عز وجل في كتابه الكريم، وبينها النبي ﷺ، ولا شك أن ذكر الله عز وجل لصفات المنافقين فيه فوائد عظيمة، منها:

١- نعمة الله عز وجل على المؤمنين بإخبارهم عن أحوال المنافقين وصفاتهم حتى يبتعدوا عنها.

٢- تهديد المؤمنين من سلوك مسالك المنافقين والتحذير من الاتصاف بصفاتهم.

٣- حض المؤمنين على الصدق مع الله وتصفية سرائرهم وإسلام وجوههم لله.

وصفات المنافقين كثيرة، منها على سبيل المثال ما يلي:

أولاً: قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٨ - ٢٠] فظهر في هذه الآيات أن من صفات المنافقين هذه الخصال القبيحة :

١- يقولون ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ

٢- يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا

٣- فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

٤- وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ

٥- وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ

٦- وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى كبرائهم ورؤسائهم قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ

٧- يشترون الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ

ثانيا: قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦] فظهر من صفات المنافقين في هذه الآيات ما يلي:

١- حسن القول المعجب الذي يكون له وقع في القلوب.

٢- توسيط الله بجعله شاهدًا على هذا القول وموثقًا له وهذا من أعظم الجناية على الله عز وجل.

٣- المهارة في الجدل والقوة في الإقناع لقمع كل معارضة تقف أمامه.

٤- إذا اختفى عن الناس وذهب عنهم وانصرف اجتهد في عمل المعاصي التي هي فساد في الأرض.

٥- إذا أُمر بتقوى اللَّه تكبر وأخذته العزة بالإثم، فجمع بين العمل بالجرائم والتكبر.

ثالثًا: قال اللَّه عز وجل: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨ -١٣٩] ، فمن صفات المنافقين في هاتين الآيتين ما يلي:

١- أنهم يوالون الكفار ويحبونهم وينصرونهم.

٢- يعتزون بالكفار ويستنصرون بهم.

رابعًا: قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢ ، ١٤٣] ، فظهر في هاتين الآيتين أن من صفات المنافقين ما يلي:

١- يخادعون اللَّه وهو خادعهم.
٢- إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى.
٣- يراؤن الناس بأعمالهم.
٤- لا يذكرون اللَّه إلا قليلاً.
٥- متردِّدون بين فريق المؤمنين وفريق الكافرين.

خامسًا: قال اللَّه تعالى في شأن المنافقين: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾ [التوبة : ٥٣ - ٥٤] ، فظهر في هاتين الآيتين صفات قبيحة من صفات المنافقين هي:

١- وصفهم اللَّه بالفسق فقال: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾.
٢- كفروا باللَّه وبرسوله.
٣- لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى.
٤- لا ينفقون إلا وهم كارهون.

وفي هذه الصفات غاية الذم للمنافقين ولمن فعل فعلهم،

فينبغي لكل أحد أن يبتعد عن الفسق، ويؤمن بالله ورسوله ﷺ، ويأتي الصلاة وهو نشيط البدن والقلب، وينفق وهو منشرح الصدر ثابت القلب يرجو ذخرها وثوابها من الله وحده، ولا يتشبه بالمنافقين.

سادسًا: قال الله عز وجل: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٤ - ٦٦]، فالمنافقون يستهزئون بالله ورسوله، والمؤمنين، وقد فضحهم الله عز وجل وبين صفاتهم للمؤمنين.

سابعًا: قال الله عز وجل: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ هِيَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٧ - ٦٨]،

فظهر في هاتين الآيتين بعض صفات المنافقين الآتية:

١- المنافقون بعضهم من بعض: يتولى بعضهم بعضًا.

٢- يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف.

٣- يقبضون أيديهم عن الصدقة وطرق الإحسان فهم من أبخل الناس.

٤- نسوا اللَّه فلا يذكرونه إلا قليلاً فنسيهم من رحمته فلا يوفقهم لخير.

٥- إن المنافقين هم الفاسقون.

ثامنًا: قال اللَّه عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٩ . ٨٠] فالمنافقون ظهر لهم صفات في هاتين الآيتين منها:

١- يلمزون المطوعين في الصدقات: يلمزون المكثر في الصدقة فيقولون: قصد بنفقته الرياء والسمعة، ويلمزون المقل

الفقير فيقولون: إن اللّه غني عن صدقة هذا.

٢- السخرية بالمؤمنين.

٣- كفروا باللّه ورسوله.

تاسعًا: قال اللّه عز وجل: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:١٢٧] ، فالمنافقون إذا أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض جازمين على ترك العمل بها وينتظرون الفرصة في الاختفاء عن أعين المؤمنين، ثم انصرفوا متسللين وانقلبوا معرضين فجازاهم اللّه بعقوبة من جنس عملهم، فكما انصرفوا عن العمل صرف اللّه قلوبهم وصدها عن الحق وخذلها بأنهم قوم لا يفقهون فقهًا ينفعهم، فإنهم لو فقهوا، لكانوا إذا أنزلت سورة آمنوا بها وانقادوا لأمرها[1]، كما قال عز وجل: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦]، وقال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ

(١) انظر: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» للسعدي (ص٣١٣).

عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣] .

عاشرًا: قال النبي ﷺ: «**تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقرها أربعًا لا يذكر اللَّه فيها إلا قليلًا**»[(١)] ، فظهر في هذا الحديث صفتان من صفات المنافقين هما:

١- تأخير الصلاة عن وقتها.

٢- ينقر الصلاة ولا يذكر اللَّه فيها إلا قليلًا.

الحادي عشر: قال الرسول ﷺ: «**إنَّ أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا. . .** »[(٢)] .

فظهر أن صفات المنافقين إجمالاً على النحو الآتي:

١- يدَّعون الإيمان وهم كاذبون.

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التبكير بالعصر (١/ ٤٣٤) برقم (٦٢٢).

(٢) متفق عليه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري، كتاب الأذان، باب فضل صلاة العشاء في جماعة (١/ ١٨١) برقم (٦٥٨)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها (١/ ٤٥١) برقم (٦٥١).

٢- يخادعون اللّه والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم.
٣- في قلوبهم مرض فزادهم اللّه مرضا.
٤- يدَّعون الإصلاح وهم المفسدون.
٥- يرمون المؤمنين بالسفه.
٦- يستهزئون بالمؤمنين ويسخرون منهم.
٧- يشترون الضلالة بالهدى.
٨- قولهم حسن وهم ألد الخصام.
٩- يُشهدون اللّه على ما في قلوبهم وهم كاذبون.
١٠- ماهرون في الجدل بالباطل.
١١- إذا اختفوا عن الناس اجتهدوا في الباطل.
١٢- إذا قيل لهم اتقوا اللّه أخذتهم العزة بالإثم.
١٣- يوالون الكفار وينصرونهم ويخدمونهم.
١٤- يعتزون بالكفار ويستنصرون بهم.
١٥- إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى.
١٦- يراؤن الناس بأعمالهم.
١٧- لا يذكرون اللّه إلا قليلاً.
١٨- مترددون بين الكفار والمؤمنين.

١٩- يكفرون بالله ورسوله ﷺ.
٢٠- المنافقون هم الفاسقون.
٢١- لا ينفقون إلا وهم كارهون.
٢٢- المنافقون يتولى بعضهم بعضًا.
٢٣- يقبضون أيديهم فلا ينفقون في طرق الخير.
٢٤- يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف.
٢٥- نسوا الله فنسيهم.
٢٦- يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات.
٢٧- يؤخرون الصلاة عن وقتها.
٢٨- ينقرون الصلاة ولا يذكرون الله فيها إلا قليلاً.
٢٩- أثقل الصلوات عليهم العشاء والفجر.
٣٠- يتأخرون عن صلاة الجماعة.
٣١- قلوبهم قاسية وعقولهم قاصرة.
٣٢- لم يرضوا بالإسلام دينًا.
٣٣- يأخذون من الدين ما وافق رغباتهم.
٣٤- يقولون مالا يفعلون.
٣٥- يظهرون الشجاعة في السلم وجبناء في الحرب.

٣٦- لا يتحاكمون إلى اللّه ورسوله ﷺ.

٣٧- يجدون الحرج والضيق في أنفسهم من حكم اللّه ورسوله ﷺ.

٣٨- يخذِّلون المؤمنين عن الجهاد.

٣٩- ييأسون من رحمة اللّه وينقطع أملهم في نصره.

٤٠- يقصدون بجهادهم الدنيا وإذا يئسوا من ذلك تثاقلوا.

٤١- يفجرون في المخاصمة.

٤٢- يحاربون الإسلام وأهله عن طريق الخفية والتسمِّي به.

٤٣- لا يهمهم إلا مصالحهم الذاتية.

٤٤- يطعنون في العلماء المخلصين بالكذب وتغيير الحقائق.

٤٥- يثيرون الشبهات حول الإسلام، ليصدوا الناس عن الدخول فيه.

٤٦- يبغضون أنصار الدين.

٤٧- يكذبون في الحديث.

٤٨- يخونون اللّه ورسوله ﷺ والمؤمنين.

٤٩- يخلفون الوعد.

٥٠- لكل واحد منهم وجهان: وجه للمؤمنين، ووجه لأعداء الدين.

٥١- لا يعقلون ما ينفعهم ، ولا يسمعون ما يفيدهم، ولا ينظرون إلى آيات اللَّه التي تدل على قدرته.

٥٢- تسبق يمين أحدهم كلامه لعلمه أن قلوب المؤمنين لا تطمئن إليه.

٥٣- قلوبهم عن الخير لاهية وأجسادهم إليه ساعية.

٥٤- أخبث الناس قلوبًا وأحسنهم أجسامًا.

٥٥- يُسرُّون سرائر النفاق فأظهرها اللَّه على وجوههم وألسنتهم.

٥٦- ينقضون العهد من أجل الدنيا.

٥٧- يسخرون بالقرآن الكريم.

فهذه صفات المنافقين فاحذرها أيها المسلم قبل أن تنزل بك القاضية.

وهذه الصفات من باب الأمثلة[١]، وصفات المنافقين كثيرة في

(١) وانظر: «صفات المنافقين» لابن القيم (ص٤)، و«المنافقون في القرآن الكريم» للدكتور عبد العزيز الحميدي (ص٤٤١).

كتاب اللَّه عز وجل وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، نسأل اللَّه العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

المطلب الرابع: آثار النفاق وأضراره.

النفاق له آثار خطيرة، وأضرار مهلكة، منها ما يأتي:

١- النفاق الأكبر يسبب الخوف والرعب في القلوب، قال اللَّه عز وجل: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ٦٤].

٢- النفاق الأكبر يوجب لعنة اللَّه تعالى، قال اللَّه عز وجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٨]، وقال سبحانه: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠- ٦١].

٣- النفاق الأكبر يخرج صاحبه من الإسلام، لأنه إسرار الكفر وإظهار الخير، بل هو أشد من الكفر الظاهر، قال اللَّه

تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥] .

٤- النفاق الأكبر لا يغفره اللَّه إذا مات عليه صاحبه، لأنه أشد من الكفر الظاهر الذي قال اللَّه تعالى في أصحابه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ١٦٨ - ١٦٩] .

٥- النفاق الأكبر يوجب لصاحبه النار ويحرم عليه الجنة ، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

٦- النفاق الأكبر يخلد صاحبه في النار فلا يخرج منها أبدًا؛ لقول اللَّه عز وجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ﴾ [التوبة : ٦٨] .

٧- النفاق الأكبر يسبب نسيان اللَّه لصاحبه، قال اللَّه تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة : ٦٧] .

٨- النفاق الأكبر يحبط جميع الأعمال، قال اللّه عز وجل: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٣ - ٥٤]

٩- النفاق الأكبر يطفئ الله نور أصحابه يوم القيامة، قال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

١٠- النفاق الأكبر يَحرِمُ العبد دعاء المؤمنين والصلاة عليه عند موته، قال اللّه عز وجل: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

١١- النفاق الأكبر يسبب عذاب الدنيا والآخرة، قال اللّه تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

١٢- النفاق الأكبر إذا أظهره صاحبه وأعلنه كان مرتدًا عن الإسلام فيكون حلال الدم والمال وتطبق عليه أحكام المرتد، إلا أن قبول توبته عند الحاكم فيها خلاف في الظاهر؛ لأن المنافقين يظهرون الإسلام دائمًا[١]. أما إذا أخفى المنافق نفاقه وكفره؛ فإنه معصوم الدم والمال بما أظهر من الإيمان والله يتولى السرائر[٢].

١٣- النفاق الأكبر إذا أظهر صاحبه كفره يوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين فلا يوالونه ولو كان أقرب قريب، وأما إذا لم يظهر كفره فيعامل بالظاهر والله يتولَّى السرائر.

١٤- النفاق الأصغر، وهو النفاق العملي، ينقص الإيمان ويضعفه، ويكون صاحبه على خطر من عذاب الله تعالى.

١٥- النفاق الأصغر صاحبه على خطر؛ لئلا يجره إلى النفاق الأكبر.

---

(١) انظر: «فتاوى ابن تيمية» (٢٨/ ٤٣٤).
(٢) انظر: المنافقون في القرآن، للدكتور عبد العزيز الحميدي (ص٤٥٠).

ونعوذ بالله من غضبه، ومن جميع أنواع النفاق صغيره وكبيره، ونسأله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
المبحث الأول: نور الإيمان	**٦**
المطلب الأول: مفهوم الإيمان	٦
المطلب الثاني: طرق تحصيل الإيمان	٨
المطلب الثالث: ثمرات الإيمان	١٣
المطلب الرابع: شعب الإيمان	٢٧
المطلب الخامس: صفات المؤمنين	٣٤
المبحث الثاني : ظلمات النفاق	**٣٩**
المطلب الأول: مفهوم النفاق	٣٩
المطلب الثاني: أنواع النفاق	٤٢
المطلب الثالث: صفات المنافقين	٤٧
المطلب الرابع: أضرار النفاق	٥٩